

البعد الحضاري للسيرة النبوية قراءة فكرية في كتابات

الدكتور عماد الدين خليل

**The Cultural Aspect of The Prophet Biography;
an Intellectual Reading of Emad addin khalil**

Books

أ.م.د. ايمان عبد الحميد محمد الدباغ

قسم العقيدة والفكر الاسلامي، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الموصل

الاختصاص الدقيق: فلسفة التاريخ الحديث والمعاصر

Assist.Prof.Dr.Eman Abdulhameed Mohammed

Aldabbagh

**'Aqidah and Islamic Thought Department,
College of Islamic Sciences, University of Mosul
Specialization: Philosophy of Modern History**

الملخص

لعبت السيرة النبوية بأحداثها ودلالاتها دوراً مهماً في تكوين عقل الإنسان المسلم لما وفرت له من مرتكزات أسهمت بشكل وآخر في تنمية وعيه الإسلامي في ضرورة استعادة الأمة لمرجعيتها الحضارية لتحقيق تماسكها ووحدتها، ثم إصلاح حالها وتحقيق تقدمها ونهوضها الحضاري.

فنهوض الأمم ومعاودة إخراجها واسترداد دورها يستلزم قراءة نصوصها الأول وظروفه، والذي ما كان يتحقق إلا بالاهتمام بقيم القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقات السيرة النبوية، في تحقيق مقاصد الدين واسترداد شهودها الحضاري والقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني.

تتضمن الدراسة قراءة فكرية عن البعد الحضاري في السيرة النبوية في كتابات الدكتور عماد الدين خليل وما تضمنته من متابعات تأسيسية موضوعية وفكرية للبعد الحضاري، فجاءت كتاباته وهي تقدم تصور متكامل عن المعطيات الأساسية في السيرة النبوية، والدور الإنساني في استثمار هذه المعطيات وتحويلها إلى ممارسات منظورة.

Abstract

The prophet's biography, with its events and its implications, played an important role in the formation of the Muslim human mind because it provided him with the foundations that contributed to the development of Islamic consciousness in the necessity of restoring the nation's cultural reference to achieve its cohesion and unity, and then reforming its situation and achieving its progress and civilized advancement. - The rise of the nations and the restoration of their role requires reading the conditions and conditions of their first rise, which was achieved only by guiding the values of the Holy Quran, the Prophet's Sunnah and the applications of its instructions, in achieving the purposes of religion and recovering its civilized witnesses and carrying out the burdens of succession.

The study includes an intellectual reading about the cultural dimension in the prophetic biography in the writings of dr.emad addin khalil, its institutional, objective and intellectual consequences for the cultural dimension, his writings came as it presents an integrated view of the

main data in the prophetic biography, the human role in the investment of these data into visible practices.

المقدمة

إن تقديم تصور متكامل عن المعطيات الأساسية للبعد الحضاري للسيرة النبوية يتطلب مزيداً من الإلمام بجوانبه المختلفة وإعطاء الموضوع الأولوية في الدراسة والبحث، من اجل تحديد ملامح المشروع الحضاري الذي وضع شروطه القرآن والسنة لاسيما وان القرآن الكريم قدمت مادته معطيات تاريخية غنية أشارت فيها إلى العديد من وقائع السيرة زمانيا ومكانيا.

من اجل ذلك جاءت هذه الدراسة لتوجه العقل المسلم إلى أهمية دراسة الملامح الأساسية لعقيدة الإسلام في القرآن الكريم، ودراسة نوااميس الكون وسننه، ورسم العلاقة بين العقل والوحي، ووضع المعالم المعرفية دليلاً حضارياً للإنسان، واستقراء التاريخ والواقع، فضلا عن معطيات أخرى للرؤية الإسلامية التي فسحت المجال للإنسان لرسم حضارته.

وتدعو الدراسة إلى ضرورة دراسة السنة النبوية واستقصاء الأحاديث المعنية بنهوض الأمم والجماعات والدول والحضارات، ورسم القيم الايجابية وما تنطوي عليه من أبعاد حضارية، واستيعاب مراحل مسيرة الرسول (ﷺ) كلها وجعل كل مرحلة (الإنسان - الدولة - الحضارة) أمودجاً يحتذى به، لاسيما إذا مر واقع الأمة بما يماثل طبيعة تلك المرحلة ابتداءً من مرحلة بناء الإنسان المستضعف بالتوحيد أو ابتداءً بمرحلة تزويده بالمعرفة، مرحلة- اقرأ- كمدخل وسبيل إلى التغيير وإقامة دولة الإسلام ثم انتهاء إلى مرحلة النمو والاكتمال الحضاري.

تألفت الدراسة من محورين، تناول المحور الأول التأسيسات الحضارية في القرآن والسنة (الحديث النبوي) وفيه إشارة إلى مرتكزين مهمين للبعد الحضاري وهما القرآن الكريم وما يتضمنه من منطلقات للرؤية الإسلامية ومفاهيم أساسية عن العقيدة والوحي والمعرفة ومهمة التسخير والاستخلاف وتوازن بين الثنائيات وتوحيدها والشعور بالمسؤولية وغيرها، وأسباب عرض القرآن الكريم لمساحة واسعة للواقعة التاريخية، أما السنة (الحديث النبوي) ففيها عرض للأحاديث الشريفة التي مارست دوراً مهماً في معالجة وإيضاح الموضوعات المعنية بنهوض الأمم والجماعات والدول والحضارات، ودار المحور الثاني عن التأسيسات الحضارية للسيرة النبوية وفيه يتحدث عن الدوائر الثلاث لمسيرة سيرة الرسول (ﷺ) بدءاً ببناء الإنسان بالتوحيد ليكون مؤهلاً لحمل أعباء الرسالة الجديدة للعالم، ثم قيام دولة الإسلام وتحقيق مستلزماتها من الأمة والسيادة الداخلية والخارجية والإقليم، ثم التأسيس لحضارة إيمانية مستمدة لمنهجها من القرآن الكريم والسنة النبوية، تقوم على لقاء الوحي والوجود لتكون بديلاً متوازناً عن الحضارات الأخرى.

وقد اعتمدت الدراسة على اغلب كتب د. عماد الدين خليل والتي قدمت للدراسة معلومات قيمة تفصيلية، ولعل من أبرزها كتاب (مدخل إلى الحضارة الإسلامية) وكتاب (كتابات معاصرة في السيرة النبوية) وكتاب (التفسير

الإسلامي للتاريخ) وكان لهذه المصادر أهمية بما حوته من مادة غنية في معلوماتها وهي تتابع البعد الحضاري للسيرة النبوية وتقدم تصور متكامل عن معطياته الأساسية، كما اعتمدت الدراسة على مصادر داعمة أخذت السيرة النبوية من جوانب مختلفة ككتاب (فقه السيرة النبوية) لمحمد سعيد رمضان البوطي وهو يقدم رؤية فقهية للسيرة، وكتاب (الوسيط في السيرة النبوية) لهاشم يحيى الملاح وهو يقدم رؤية تاريخية للسيرة، وكتاب (فقه السيرة النبوية) لموفق سالم نوري وهو يقدم رؤية سياسية ودعوية وحركية للسيرة.

المحور الأول: التأسيسات الحضارية في القرآن والسنة (الحديث النبوي)

أولاً. القرآن الكريم

١- منطلقات الرؤية الإسلامية ومفاهيمها الأساسية

يقوم الإسلام على العقيدة التي هي الأساس في بناء الدين، ومنها ينطلق الإنسان المسلم في تفسير وضبط حركاته وسلوكه وطبيعة وجوده ونشأته وغايته ومهمته في الحياة ومصيره في الآخرة، وعليها تقوم أحكام الشريعة والنظام والأخلاق في كل جوانب الحياة.

وقد بين د. عماد الدين خليل^(١)، أهمية هذا الجانب أي الجانب **العقدي** في بيان الملامح الأساسية لعقيدة الإسلام في القرآن الكريم: علاقة الله بالإنسان المبنية على أسس التوحيد المطلق وتوجيه العبادة له وحده، والالتزام بشرعه والخضوع لسننه ونواميسه، وإعادة تنظيم العالم وفق شريعة الله، وكسر الحاجز المادي بالوفاق مع الجانب الروحي، وتطابق معطيات القيم العقدية (كالربانية والشمولية والتوازن والثبات والتوحيد والابحائية والواقعية) مع معطيات الفطرة البشرية السليمة، وتطابقاً ماثلاً مع معطيات العقل المسلم وتطلعاته وآفاقه (خليل، ٢٠٠٥، ص ٢١-٢٢).

هذه الملامح هي ما جعلت **الوحي** (المتمثل بالقرآن والسنة) يشكل مصدراً للمعرفة والتوجيه الإسلامي وهي الكلمة التي بلغ بها الرسول محمد (ﷺ) إلى الناس كافة، وبين لهم مقاصد هذا الدين وما يحمله من أحكام وقيم ينبغي لهم أن يلتزموا بها، وجعل هناك تفاعلاً ما بين عطاء الله وتطلعات العقل في الارتقاء لتحقيق الانجاز الحضاري، عطاء أثمر عن تواعد وارتقاء، فحقق إنسانية الحضارة الإسلامية الذي رسم مسارها وحدد أهدافها الوحي (برسالة الله) وحقق إنجازاتها في المستويات المتعددة (الإنسان) (بن عاشور، ١٩٩٢، ص ٢-٣).

ومن هذا المنطلق - أي منطلق الإيمان بوحداية الله وهداية الله - فليس هناك تعارض ما بين ما جاء به الوحي المرسل والعقل والكون، فالوحي اختص بعالم الغيب ومقاصده في الكون والحياة، والعقل وجه نحو عالم الشهادة لحمل مسؤوليته في أداء دوره في تسخيرها وتنظيمها وإصلاح شأنها بما أودع الله فيها من سنن ونواميس تحقيقاً لخلافته في عالم الشهادة، فوجد بذلك تكاملاً بين عالم الغيب وعالم الشهادة وبين الوحي والعقل والكون، هذا التكامل جعل من الإنسان أمام ضرورة طلب معرفة الوجود وموقعه منه في نسق منظوم متكامل تنضج به مقاصد وغايات الإسلام للإنسان.

ويجد د. عماد الدين إن الكلمة الأولى (إقرأ) التي جاءت في كتابه الكريم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق، الآية: ١). فضلا عن معطيات معرفية (إقرأ، تفكر، اعقل، تدبر، تفقه، انظر... استطاعت أن تشكل عقل الإنسان المسلم ليكون أكثر قدرة على استيعاب المضامين المعرفية التي جاء بها الإسلام ليحرك الإنسان صوب البحث والتساؤل والجدل في متابعة الظواهر والكشف عن السنن والإفادة من الطاقات لأعمار حياته (خليل، ٢٠٠٥، ص ٢٢-٢٣، خليل، ٢٠٠٥، ب، ص ٢٥-٢٧، خليل، ١٩٨٧، ص ١٦٨-١٧٠، خليل، ١٩٩١، ص ١٨).

إن معرفة الإنسان بقدرة الله سبحانه في خلق الكون بعد الإيمان به والتعامل مع المعطيات العلمية التي وجدت لها أصولاً في القرآن الكريم كالعقيدة والتشريع والسلوك والحقائق (العلمية)، قادت إلى معرفة دقائق الأمور وأسرارها وحقق له التقدم والإنجاز والسعادة، ومنحته مزيداً من التألق والاكتشاف والنمو والقوة (خليل، ١٩٩١، ص ١٨). فإدراك العلاقة بين البعد الإيماني الغيبي والسنن التي تحكم عالم الشهادة والتفاعل معها هو بحد ذاته سيرٌ في طريق البناء الحضاري للأمة. وقد كرم الله الإنسان وأناط به قدرة التصريف والتسخير للكون والحياة، وتطلب منه اعتماد ما أودعه الله فيه من فطرة التدبر والتدبير، لاسيما وأنّ الله تعالى قد خلق مجانسة بين قدرة الإنسان بطاقاته العقلية والنفسية والجسمية وبين طبيعة هذا الكون، وفطر في الإنسان ما يؤهله من فهم طبيعة وأسرار وقوانين العالم والكون من حوله وتسخيرها لخدمته (المهاشمي، ١٩٨٢، ص ٩٢)، لذلك يرى د. عماد الدين إن الرؤية الإسلامية عندما عبرت عن فكرة التسخير عبرت عنه "بموقف وسطي" ذلك ان الله قد سخر العالم والطبيعة للإنسان تسخيراً يتلاءم مع مهمته الأساسية في الخلافة، وجعل العلاقة بين الإنسان والعالم علاقة إرادة وإدراك وخيار وخلافة وكرامة، لا علاقة تعبيد وتذليل وغزو وانشقاق كالذي تعكسه العديد من الفلسفات والمذاهب الوضعية (خليل، ٢٠٠٥، ص ٣٩-٤٠).

أما مهمة الاستخلاف التي أوكلها الله للإنسان وهي خلافة رعاية وعمار وإدارة، خلافة تحقق المعنى الحقيقي للعبودية في ظل العمل على تحقيق السيادة البشرية في الأرض (دسوقي، د.ت، ص ٣٧-٤٠)، فيجد د. عماد الدين انه يتطلب من الإنسان تنفيذ مطالب مهمته الاستخلافية بالكشف عن السنن ونواميس الكون والطبيعة، والسعي نحو الإبداع والإعمار، والإفادة من الطاقات المدخرة، ورغم أنها مسؤولية مناط في جوهرها حرية الإرادة والقرار والإدراك إلا أنها لا بد من الالتزام بالقيم والتعاليم والشرائع وإلا فإنها ستحرم المجتمعات البشرية من التحضر وسيؤول بهم الحال إلى الخراب والضياع (دسوقي، د.ت، ص ٣٧-٣٩).

فالرؤية الإسلامية ترفض تعطيل عقل الإنسان والالتفاف إلى الوراء إلا لضرورات معينة، فقد ضيع المسلمون الكثير من طاقاتهم بفعل التقليد الأعمى الذي يتعارض في كثير من الأحيان مع القرآن الكريم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)، بل كما قال د. عماد الدين هو النزوع إلى الأمام وان يصرف الإنسان عقله إلى النظر والتدبر والعمل في الحاضر والمستقبل، فتفتح أمام الإنسان أبواب التجريب والنظر والتنقيب في سنن الكون، والانصراف نحو بناء الحياة وحمل مسؤولية الخلافة وتنمية قدراته العلمية والتكنولوجية بدلاً من "هدر الطاقة" فيما هو خارج عن حدودها وإمكاناتها فيسمح للنظر القاصر والفكر العقيم أن يسود (خليل، ٢٠٠٥، ص ٣٦-٣٧).

كما يرى ان الرؤية الإسلامية تؤمن بأن يكون الإنسان المسلم عنصراً فعالاً وإيجابياً في العالم يلتزم بالإيمان والعمل الصالح ليكون مؤهلاً بالمهمة التي أوكلها الله له لقوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠-١٠٥). كما إن نجاح الإنسان المسلم ليكون مؤهلاً بمقاييس الحضارات المتقدمة تطلب منه قناعة تامة بجدوى هذا الدين بالتغيير وهذا ما سيأتي بالإيمان بالله، وستمكته كما مكنت السلف الأول ناصية الإبداع وتفتح له أبواباً جديدة في مجال الحضارة، ويجد د. عماد الدين أهمية ارتباط الإيمان بالعمل، إذ عد الإيمان بمنزلة معامل حضاري يمتد أفقياً لدفع الإنسان إلى التعامل بانسجام مع حركة الكون والطبيعة بشكل يحقق العطاء والقوة والإيجابية، في الوقت نفسه يمتد عمودياً ليعث في نفس الإنسان إحساساً بالمسؤولية ويقظة الضمير والتسابق مع الزمن في عطائه وفق معطيات الوحي والأهداف التي يسعى لبلوغها ليرتقي إلى المراحل الأعلى التقوى والإحسان (خليل، ٢٠٠٥ ب، ص ٩٢-٩٤، خليل، ٢٠٠٥ أ، ص ٤٠-٤٢، خليل، ١٩٨٦، ص ١٩٤، ص ٢٢٥-٢٢٦).

إن منح "التجربة الإيمانية" الحضارة مزيداً من الوحدة والخصوصية يجعلها تحقق انسجاماً مع نواميس الكون والطبيعة وتعطيها قدرات إبداعية أعمق، وهذا يعني انه لا مجال في الرؤية الإسلامية للتخريب والاستبداد والإفساد باسم العقل المتجاهل لمقاصد القرآن الكريم وغاياته وتوجيهاته، بل هي دعوة إلى حماية منجزات الإنسان الحضارية والوقوف أمام كل من يعوق مسيرته ونموه، هذه الحماية الحضارية لا تنصب على الجوانب المادية فحسب بل الجوانب الفكرية والأخلاقية والروحية والثقافية (خليل، ٢٠٠٥ أ، ص ٤٢-٤٣).

وان أي إفساد قد يتركه الجانب المادي أو الروحي قد يترك أثراً على عقل المسلم من غيش وقصور في المقاصد والغايات والمفاهيم والقيم وما يؤول إليه من دمار حقيقي لحضارة الإنسان، لذا تطلب من الإنسان المسلم التحرك لإيقافه لئلا يتحول الإفساد إلى فتنة عمياء تمزق الأمة وتؤجج نار الصراع في صفوفها (خليل، ٢٠٠٥ أ)، يقول تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٦-١١٧).

وفي الرؤية الإسلامية "التوازن بين الثنائيات وتوحيدها"، توازن تجعل من الإنسان يجمع بين الإيمان والإبداع، إذ يلحظ د. عماد الدين أن الإسلام دعا إلى توازنٍ شمولي مترابط لا يقبل التجزؤ، ففي الوقت الذي يدعو الإنسان إلى التنقيب عن السنن والنواميس في التربة، يدعوه في البحث في صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرة (خليل، ١٩٩١، ص ٣٠، خليل، ٢٠٠٥ أ، ص ٤٥)، كما يجده توازناً حركياً يرفض الانحراف أو السكون، فأيات القرآن الكريم التي تتناول مسألة طبيعية أو حيوية أو مادية دائماً ما تنتهي بأفعال التقوى والإيمان، ويجد أن توسيع الأهداف البشرية وربطها بأهداف أكثر سموً يعطي الحياة قيمها الحقيقية ويُمكن من تأدية الإنسان مهمته في الاستخلاف في الأرض، فالتوازن بين قيم الروح وقيم المادة هو ما أكده الإسلام ويكفل النمو السليم للحضارة، وأن أي تجربة بشرية

تجرح عن هذه المعادلة تعدّ شذوذاً وانحرافاً وتمزيقاً للذات الإنسانية على المستوى الفردي والنفسي (خليل، ٢٠٠٥، ص ٤٨-٤٩، خليل، ٢٠٠٥، ص ٩٨-١٠٣، خليل، ٢٠١٠، ص ٢٥-٢٦)، كما أن وجود التوازن يزرع في الإنسان وازع الاطمئنان والاستقرار الذاتي بأن معالم إنسانيته هي على نسبة واحدة فالعقل والعقيدة والحس المادي والعواطف كلها متجانسة متعاونة لا خلاف بينها فحقق مظهر الكمال الإنساني، وأن الحضارة الإسلامية جاءت من أثر هذا الإنسان المنسجم في ذاته فأكسبها مما اكتسب (بن عاشور، ١٩٩٢، ص ٢١-٢٢).

ليس هذا فحسب، بل ان د. عماد الدين يلحظ الميزة التحريرية التوازنية في القرآن الكريم، كونها توافق بين رغبات الإنسان الجسدية والروحية، فالقرآن يأمر بني آدم أن يأخذوا الزينة في المساجد في الوقت الذي يكون فيه الإنسان في عبادته في المسجد ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١). ثم تعقبها دعوة أخرى للأكل والشرب شريطة أن لا يبلغ ذلك حد الإسراف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١). واستنكار الآيات على بعض أتباع الديانات المنحرفة السابقة تحريمهم الطيبات التي أحلها الله ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (آل عمران: ٩٣). أو كبت بعض جوانب الغرائز بمثابة عقاب وليس قاعدة دينية ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٦٠). وغيرها من الصور التحريرية التي عبر عنها القرآن الكريم (خليل، ٢٠٠٥، ص ٥٠-٥٤، خليل، ٢٠٠٥، ص ١٠٦-١١٠، خليل، ١٩٨٦، ص ٢٩٥).

لم يكتف د. عماد الدين بذلك بل أشار إلى عدد من المفاهيم الأساسية لمنهجية الرؤية الإسلامية منها السببية وهي مفهوم أساسي في أداء العقلية الإسلامية وفي بناء المنهج الإسلامي، فالإنسان بفطرته وعقيدته يدرك تماماً حتمية وضرورة الأخذ بالأسباب في الكشف عن السنن والنواميس والسعي في أمرها بالإصلاح والأعمار، فدون السببية لا مجال للفعل الإسلامي ولا للأداء الإسلامي من بناء عقله وأداء مهمته وواجباته في خلافة الأرض والنظر والتدبر في نظام الحياة والكون (أبو سليمان، ١٩٩٤، ص ١٥١-١٥٢، خليل، ٢٠١٦، البعد الحضاري للسيرة النبوية) www.mugtama.com.

ويجد د. عماد الدين أن القرآن الكريم أراد أن يجتاز بالعقل المسلم مرحلة النظرة التبسيطية المسطحة المفككة التي تعين الأشياء والظواهر كما لو كانت معزولة، وإعادة تشكيلها إلى عقلية تركيبية تمنحه القدرة على فهم الظواهر والأشياء والربط بين الأسباب والمسببات وصولاً إلى الحقيقة المرجوة في إدراك معجزة الخلق ووحداية الخالق سبحانه (خليل، ٢٠٠٥، ص ٢٦-٢٧، خليل، ٢٠٠٥، ص ٢٩-٣٠)، يقول تعالى ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

وإذا كان الله يطلب من الإنسان معاينة الأشياء وفهمها وربط الأسباب بالمسببات فإن الله قد هياً للإنسان ما يمكنه من تأدية هذا الدور من خلال النظر الحسي والتبصر بحقيقة وجوده في الكون، وإعطاء الحواس المسؤولية عن

خطوات الإنسان وهو يتحرك باتجاه البحث والنظر والتأمل والمعرفة، يقول تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

وقد رصد د. عماد الدين آيات متعددة في القرآن الكريم وهي تدعو الإنسان إلى إمعان النظر في خلقه وطعامه وملكوته وإلى التبصر بحركة التأريخ ثم إلى خلائق الله وإلى النواميس الاجتماعية والطبيعة..، كما بين أهمية السمع والبصر في تمكين الإنسان في استغلال الطاقات وتحقيق التفوق العلمي والحضاري، ومعطيات أخرى كتحرير العقل والتفكير والتبصر والتفقه التي تحرك وعي الإنسان وإدراكه، لينتهي بأسلوب البرهان والحجة والجدل وهو ما يعتمده القرآن الكريم للوصول إلى النتائج القائمة على الاستقراء والمقارنة والموازنة (خليل، ١٩٨٦، ص ٢٠٩-٢١٢).

ولتمكين الإنسان مما سبق لا بد من تحقيق الإرادة الإنسانية والقرار الإنساني في صياغة المصير، سواء في خلافة الأرض والتشبث بها ومواجهة كافة التحديات المادية والخارجية واستنباط المعاني الإيجابية فيها لصالح خدمة الإنسان أم أن تكون إرادة فاسدة تسعى إلى الإفساد والإسراف في الأرض فتقضي بقدراتها السلبية على التجدد والتطور والإبداع (خليل، ١٩٨٦، ص ٢٦٢).

ومع الإرادة يأتي الشعور بالمسؤولية ومن يتمكن من فهم منطلقاتها وبعدها في العقل الإنساني سيتمكن من فهم الإنسان نفسه، فشعور الإنسان بالمسؤولية تمنحه القدرة على تجاوز الغفوات والزلات والتقصير، ود. عماد الدين يقف عند ضرورة أن يشعر الإنسان بالمسؤولية ولكن يجب أن تكون "مسؤولية مستقلة" موجهة إزاء ذاته وما يترتب عليه من قرارات تحدد مصيره، فإذا تسخير الكون وإدارته وإصلاحه واعماره، وإما فساد وتأخر وانحلال، على أن يتم ذلك بعيداً عن تحمل مسؤولية الأمم والجماعات الأخرى (خليل، ١٩٨٦، ص ٢٦٣)، يقول تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤).

والتغير الذاتي دون الالتزام الأخلاقي يفقد انتقال الإنسان صوب صيغ إنسانية أفضل وتحقيق البعد الحضاري المراد، لذلك كان لا بد من وجود القيم الأخلاقية التي تحقق بها تقدم المجتمع المسلم ووحدته وديمومته أو تأخره وانحياره وتراجعها، "فالقيم الأخلاقية في الإسلام ليست قيماً منفصلة، ليست حشوداً من التعاليم تقول: افعل هذا ولا تفعل ذاك، لكنها شبكة التزامات مترابطة تستهدف في نهاية التحليل وضع الإنسان المسلم في مكانه الصحيح المتوازن إزاء الذات، والمجتمع، والعالم، والكون" (خليل، ٢٠١٣، ص ١٩٧).

وتبقى منطلقات الرؤية الإسلامية ومفاهيمها الأساسية وغيرها تدفع الإنسان نحو العالم معتمداً على حسه وعقله وجدية التدبير والتفكير والبحث والسعي وإرادته الحرة للسنن والنواميس التي أودعها الله في النفوس والخلائق والكائنات، وحمل مسؤوليته في عالم الأسباب وجدية الأخذ بالأسباب والتزامه القيمي المستمد من مصدر الوحي والرسالة الربانية والتزامه بالغايات والمقاصد، كلها عوامل تساعد على بناء الذات الإنسانية وتمكنه من القدرة والعطاء والتجديد والإصلاح المستمر في الحياة.

٢- الواقعة التاريخية في القرآن

تكمن أهمية دراسة الواقعة التاريخية في القرآن الكريم في منح البشرية مزيداً من المعرفة الكاملة والخصوصية والثقة بالذات، والإفادة من الماضي لبناء الحاضر ورسم حدود المستقبل بصيغ حضارية لا حصر لها، ولهذا كان ارتباطها بالقرآن الكريم تتم عن تغطية شاملة لكافة المسائل التي تخص الحياة البشرية بقدر من الأساليب والنظم من اجل تحقيق أهدافها في الاستخلاف والاعمار.

و.د. عماد الدين يؤكد على هذه المسألة في عرضه للمساحة الكبيرة التي وظفها القرآن الكريم للواقعة التاريخية سرداً قصصياً لتجارب عدد من الجماعات البشرية، أو استخلاصاً للسنن التاريخية التي تحكم حركة الإنسان، أو عرضاً للمواقف الإنسانية المتغيرة في التاريخ، وقد أريد من هذا العرض بيان الحكمة من وراء تحرك الحدث التاريخي واعتماد مدلولاته في حاضر الأمم ومستقبلها القريب أو البعيد، عبر إثارة الفكر البشري بالتفكير والتساؤل، والإفادة من تجارب الأمم السابقة في تحقيق الأهداف التي رسمها الإسلام (خليل، ١٩٨٦، ص ٦-٧، خليل، ٢٠٠٥، ج ٨-٩، خليل، ٢٠١٦، البعد الحضاري للسيرة النبوية) www.mugtama.com.

والقرآن الكريم وضع للبشرية سلفاً معايير من سنن ثابتة لا تتغير للهزائم والانتصارات التي منيت بها البشرية عبر قرونٍ طويلة، ويضع د. عماد الدين يده على كيفية الإفادة من هذه المعايير، وهي في كيفية قراءة الواقعة التاريخية التي لا تكتسب أهميتها الايجابية إلا إذا استخلص منها القيم الإنسانية والحضارية والقوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية، والتي أعطت للمجتمعات البشرية سلفاً نتائج محتمة للحكم سلباً أو إيجاباً على مواقفه التاريخية لارتباط النتائج بالمقدمات التاريخية ودوامها (خليل، ١٩٨٦، ص ٨-٩، ص ١٠٨-١٠٩).

ويلحظ د. عماد الدين ان القرآن الكريم لم يكتف بثبات هذه القيم واستمراريتها بل حولها إلى دافع حركي فرض على الجماعة البشرية الواعية المؤمنة من تجاوز أخطاء ما سبقها من الأمم، والتعامل الحسن مع قوى الكون والطبيعة، فليس بالقوة والبطش تحيا الأمم وتواصل مسيرتها في العطاء الحضاري، وإنما "بنفسية متماسكة وأخلاقية عالية ونظرة إلى الحياة شاملة، وعلاقات إنسانية، وموقع متقدم مسؤول أمام الله" (خليل، ١٩٨٦، ص ١٠٩-١١١، ص ١١٦-١١٧).

ومع استخلاص القيم والتعامل الحسن لا ينسى د. عماد الدين أن يؤشر عن مميزات أخرى للواقعة التاريخية الأخرى في القرآن الكريم - فهناك أيضا - الرؤية القرآنية للتأريخ وعلاقته بالأزمة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل التي جعلها متوافقة ووحدة زمنية "حيوية" متصلة لا انفصال بينهما تحكمها قوانين واحدة، فالرؤية التي تحيط بالماضي يمكن أن يرسم على ضوءها الحياة الحاضرة والمستقبل (خليل، ١٩٨٦، ص ١٤).

وهناك الشمولية والموقف الموضوعي في تجاوز الرؤية التجزيئية إزاء القوى الفاعلة في التأريخ، العقلية والوجدانية، والروحية والمادية، والطبيعية والغيبية، إذ لا يمكن في الرؤية القرآنية أن نجد ثمة انفصاماً بين القيم الروحية عن القيم المادية والعقلية بل تعمل سوية بانسجام وتوافق تام " ذلك ان القيم الروحية في الإسلام ليست مجرد ممارسات فردية شعائرية

بالمعنى اللاهوتي، بل هي قيم ذات جذور عريضة وارتباط متين بقلب العالم، وحركة التاريخ، وبواقع الحياة البشرية والوجود الجماعي على السواء" (خليل، ١٩٨٦، ص ١٦-١٧).

فالقرآن الكريم هو ما منح الرسول (ﷺ) منهجاً إيمانياً في التعامل مع الواقعة التاريخية، التي تميزت برؤيتها الشمولية، وتجاوزها الرؤية التجزئية إزاء القيم والقوانين التي وصفت بديمومتها واستمراريتها والتي اعتمدت في تفسير حركة التاريخ. فواقعة الهجرة رغم ألم وقعها على الرسول (ﷺ) على أرض الواقع لتركه مكة إلا أن القرآن الكريم بين للرسول (ﷺ) وللمسلمين من بعده، ان الخير والسعة قد يكون في أرض أخرى يبحثون فيها عن مصائرهم ويصنعون فيها تأريخهم، وهذا ما حصل مع الرسول (ﷺ) الذي استطاع بفضل ذلك من تحويل هذه الواقعة إلى واقعة إيجابية في مجالات العقيدة والسياسة والحضارة، فلولا الهجرة لما تمكن من بناء دولة الإسلام التي شغ نورها إلى مشارف الأرض ومغاربها.

ويذكر د. عماد الدين وقائع تاريخية أخرى ورد ذكرها في القرآن الكريم كواقعة (حنين) و(أحد) التي يصفهما القرآن الكريم بالهزيمة ويخاطب المسلمين الذين شهدوا كلتا الواقعتين بأنهم هم كانوا السبب وراء تلك الهزيمة، لكنه في الوقت ذاته يُعلم المسلمين من خلال هاتين الواقعتين أن يستفيدوا من هذا الخطأ وان لا يبروه في تفسير الأشياء والوقائع بل عليهم أن يتقدموا نحو صياغة إيجابية حضارية للعالم المرتجى (خليل، ١٩٨٦، ص ١٢).

كما كان للأحاديث النبوية دورها في تعزيز معطيات الواقعة التاريخية في القرآن الكريم، إذ يذكر د. عماد الدين ان هذه المعطيات عادة ما تأتي بفجوات أو تحيز وان تكون قاصرة عن وضع يدها وتفسيرها لكل الوقائع، لأنّ التأريخ علم أنساني احتمالي ليس منضبطاً كالعلوم الصرفة، فتأتي الأحاديث -هاهنا- "لكي تملأ الفجوات الناقصة حيناً، وتؤكد أو تنفي نتائج البحث التاريخي الوضعي حيناً آخر، ولكي تعدل من جهة ثالثة تحريفات الكتب الدينية السابقة لحشود الوقائع التاريخية"، ويزيد على ذلك بأن الأحاديث النبوية قدمت "شبكة من التصورات والقيم ومفردات السلوك الفردي والجماعي والتي تعين على تشكيل الحضارات ونموها، أو انحيارها وأفولها" (خليل والرزو، ٢٠٠٤، ص ١١).

ويستخلص د. عماد الدين إلى القول في مدى ترابط الإسلام بحركة التأريخ والتوافق مع قوانينه ونواميس الكون من حوله، بقوله "يمثل الإسلام موقفاً في قمة حركة التاريخ لأنه دعوة لاكتشاف قوانين الحركة والتوافق معها، ليس مع حركة التاريخ فحسب، كما تسعى الماركسية، ولكن مع نواميس الكون والعالم كله" (خليل، ١٩٨٥، ص ٢٠). كما يرى ان في دراسة التاريخ "محاولة للبحث عن الذات، للعثور على الهوية الضائعة في هذا العالم، للتجذر في الخصائص وتعميق الملامح والخصوصيات، انه بشكل من الإشكال، محاولة لوضع اليد على نقاط التألق والمعطيات الإنسانية والرصيد الحضاري من اجل استعادة الثقة بالذات في لحظات الصراع الحضاري الراهن التي تتطلب ثقلاً نوعياً للأمام والشعوب" (خليل والرزو، ٢٠٠٤، ص ٧).

ثانياً. السنة (الحديث النبوي)

إن التأسيسات القرآنية التي ذكرت لا يخلو أثرها في أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله وإدارته للمجتمع الإسلامي، فالسنة "وحدة مركبة، وبرنامج عمل يتميز بالشمولية والترابط، ويوازي حياة المسلم نفسها بكل تفاصيلها ونبضاتها، بل إنها -بعبارة أكثر دقة- يتعاشق معها كما تتعاشق الروح مع الجسد البشري، مع جملة العصبية، ودمه، وخلاياه" (خليل، ٢٠١٣، ص ٨٦).

وقد آثرنا في هذا الجزء من الموضوع ذكر التأسيسات الحضارية في الحديث النبوي، ويلحظ د. عماد الدين ان هناك كم من الأحاديث مارست دوراً مهماً في معالجة وإيضاح الموضوعات المعنية بنهوض الأمم والجماعات والدول والحضارات سواء التي لم يتطرق إليها القرآن الكريم أم تطرق إليها لكنها بحاجة إلى إيضاح وتفسير، وفي حين آخر سكت عن موضوعات أخرى أشبعها القرآن الكريم عرضاً (خليل والرزو، ٢٠٠٤، ص ١٠-١١).

وبسبب ضخامة المعطى النبوي الذي هو امتداد للمعطى القرآني فقد قسم د. عماد الدين الأحاديث النبوية وفق سياقات موضوعية، فهناك **العقدية** التي تخص أحاديث التوحيد، والتوكل على الله، والجهاد، والعبادات والفرائض... الخ، وهناك **الدعوية** التي تخص أحاديث التفقه في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الابتلاء، وملاحقة البدع والمبتدعين... الخ، والأحاديث ذات السياق **السياسي** والتي تتحدث عن تحمل الحكام للمسؤولية، واختيار الحكام، والتزام الشورى، والتزام الجماعة، وتجاوز العصبية والفتن... الخ، أما السياق **الأخلاقي** فيتناول أحاديث حسن الخلق، وأداء الأمانة، والتواضع، والاحتشام والحياء، والتعفف، والحجاب... الخ، في حين تناولت الأحاديث ذات السياق **الاجتماعي** تقييم الإنسان بمدى إيمانه، واحترام إنسانية الإنسان، وحرية العقيدة، والتراحم والتناصح، وحسن التعامل، والسلم والتكافل الاجتماعي... الخ، وأخيراً الأحاديث ذات السياق **الحضاري** فتتحدث عن التوافق مع السنن والفتوة، والتوازن بين الإيمان والحكمة، وضمن حق التعليم، والإحسان في الأداء، والإحساس بالمسؤولية... الخ (خليل والرزو، ٢٠٠٤، ص ٢٣-٢٤).

ويبدأ د. عماد الدين بأحد الملامح الأساسية للجانب العقدي، إلا وهو التوحيد المطلق لله، فحديث الرسول (ﷺ) (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (القشيري، د. ت، ج ١، ص ٦٢). وقوله (أن يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وان تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) (بن حنبل، ٢٠٠١، ج ١٤، ص ٣٩٩). إنما هو نموذج إسلامي اختلف فيه عن الديانات الأخرى، فالتوحيد لم يقف عند التصور الديني فحسب وإنما جعل منه ثورة لتحرير الإنسان من العبودية، وتعبير مطلق عن توازن ثابت ما بين الإيمان وبين حياة يحيها الإنسان دائماً وأبداً.

وأحاديث شريفة في موضوعات ذات بعد حضاري ضمن السياقات الأخرى:

فعن اجتياز مراحل الإسلام والإيمان والتقوى والإحسان :

(لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم)(بن حنبل، ٢٠٠١، ج ١٥، ص ٤٠).

(إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحداكم شفرته وليرح ذبيحته)(القشيري، د.ت، ج ٣، ص ١٥٤٨).

وعن إشاعة العدل الاجتماعي والرحمة وحسن الخلق:

(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل)(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٧، ص ٦٢).

(ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)(الترمذي، د.ت، ج ٤، ص ٣٦٣).

(من لا يرحم لا يُرحم)(بن حنبل، ٢٠٠١، ج ١٢، ص ١٧).

وعن البذل وحسن العمل والأعمال:

(ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كانت له به صدقة)(القشيري، د.ت، ج ٣، ص ١١٨٩).

(أحب الأعمال إلى الله تعالى ادومها وإن قل)(القشيري، د.ت، ج ١، ص ٥٤١).

وعن المعرفة والحق والرفق والحياة:

(لا يزال أمر هذه الأمة مقارناً أو قواماً ما لم ينظروا في الوالدان والقدر)(الطبري، ٢٠٠٣، ص ٦٩٧).

(ستكون أثرة وأمور تنكرونها، قالوا يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي

لكم)(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٤، ص ١٩٩).

(إن الله يحب الرفق في الأمر كله)(البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٨، ص ٨٤).

(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)(الترمذي، ١٩٩٨، ج ٣، ص ٦٨).

إن هذه الأحاديث وغيرها تغذي أكثر من سياق في وقت واحد، وتؤشر على جملة من مقومات الفعل الحضاري إذا ما عملت عملها في أمة أو جماعة من الناس، ساقطهم إلى النهوض والتقدم، وعمقت لديهم الثوابت الإيمانية، وأنزلت القرآن لديهم إلى أرض الواقع، وحولته إلى ثقافة اجتماعية وأخلاقية وروحية وسلوكية وعمرانية، فكان البناء الحضاري وإحداث عملية التغيير لا يتم إلا بالتفاعل مع السنة النبوية لان فيها محركاً لطاقات المجتمع وموجهاً لممارسة عملية البناء.

المحور الثاني: التأسيسات الحضارية للسيرة النبوية

السيرة النبوية هي ترجمة عملية لمبادئ الإسلام وأخلاقه، أو تطبيق فعلي لشريعته ومنهجه، إذ حرص الرسول (ﷺ) على إرساء منظومة القيم الإسلامية وجعلها لبنة أساسية في بناء الإنسانية، وهي بحد ذاتها سمة من سمات المنهج النبوي وشاهد في سيرته، لذا اقتضى دراسة السيرة بوعي وفهم، وان تكون الدراسة بهدف إعادة البناء الحضاري للأمة لا لسرد التفاصيل والأحداث.

ويرى د. عماد الدين إن سيرة الرسول (ﷺ) كانت تتحرك وفق ثلاث دوائر لا تخلو من أبعادها الحضارية، تتداخل أحيانا مع بعضها البعض وأحيانا تتسع صوب الخارج لتشمل مزيدا من المساحات، بدأت بالإنسان ومرت بالدولة ثم انتهت إلى الحضارة التي حظيت بنورها مساحة واسعة من العالم القديم والمعاصر فجاءت كآلاتي:

أولا. الإنسان

بدأت المرحلة الأولى ببناء الإنسان بالعقيدة والتي بدأت منذ لقاء الرسول (ﷺ) بالوحي واستمرت خلال الفترة المكية كلها، إذ ركزت الآيات القرآنية التي نزلت في تلك الفترة على توضيح عقيدة المسلمين علماً وعملاً ودعوتهم إلى التوحيد ، وإنذارهم بالبعث، فضلاً عن بيان فضل الله على الإنسان لقوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (العلق: ٢). ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ٤-٥)، فكان الرسول (ﷺ) يتحرك بأصحابه وفق التصور التي جاءت به تلك الآيات، لتحرك بواقع الإنسان وتجعله يتعامل معها تعاملًا حركياً بعيداً عن النظريات والجدل والفلسفات (خليل، ١٩٨٣، ص ٩٩، خليل، ٢٠٠٥، ج ٤٣، ص ٤٣، خليل، ٢٠٠٧، السيرة النبوية مشروعاً حضارياً)

www.midad.com

إن توجيه الرسول (ﷺ) للإنسان فرداً وجماعة إلى عبادة الله وحده ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، تلك العبادة التي لا تقتصر على زمان أو مكان معين بل هي تمتد لكل مساحات الحياة البشرية الخاصة والعامة، الفردية والجماعية، الظاهرة والخفية، المادية والروحية، إنما أراد أن يجعل من الإنسان بهذه العبادة سبيلاً لتوجيه كافة أنشطته الحضارية (خليل، ١٩٨٦، ص ١٧٩-١٨٦).

وكان من أهم مستلزمات عبودية الله تعالى هو التكليف فلا معنى لعبودية الله تعالى دون ان يكون هناك تكليف ولكن تطلب من الإنسان وهو يؤديها الصبر وتحمل المشاق ومجاهدة النفس، وان يجعلها خالصة لوجه الله ليلبغ فيها أعلى مراتب القبول، فيحصد ثمارها كما يقول د. عماد الدين "ثمار حلوة كالرحيق المختوم" (خليل، ١٩٨٦، ص ١٨٩).

لذلك كانت سيرة الرسول (ﷺ) تركز على بناء الإنسان الموحد، الإنسان الذي يتحرك تحت شعار (لا اله إلا الله) المستسلم لأوامر الله تعالى في العقيدة والعمل ليصبح مسلماً وليحوه هذا الدين من الظلمات إلى النور، ومن الضعف إلى القوة، ومن الذلة إلى العزة (خليل، ١٩٨٦، ص ١٩٠).

لم يهتم الرسول (ﷺ) بالجانب الروحي في بناء الإنسان فحسب بل كانت سيرته شاملة متكاملة، لاستقاء مادتها من تكامل القرآن الكريم، فقد سعى الرسول (ﷺ) إلى تحرير عقل الإنسان من أسر الإتياع الأعمى وعصبية التقاليد الموروثة

الباعثة على الاقتداء والإلتباع التي لا تتوافق مع العقل والمنطق، فمن شروط صحة إيمان المسلم بالله وما يتبعه من أمور اعتقادية أخرى أن تقوم على أساس من اليقين والفكر الحر لا بالتأثر بالأعراف والتقاليد(البوطي، ٢٠٠٧، ص٧٥). كما ان الفكرة أو السلوك المأخوذ عن طريق التقليد لا يجد له رسوخاً في القلب والعقل مما يولد انحرافاً في عقيدة المقلد(نوري، ٢٠٠٦، ص٨٨). لذلك جاء هذا الحرص من الرسول(ﷺ) ووجده د. عماد الدين بأنه كان "رداً حاسماً على كل القيم الجاهلية وانقلاباً جذرياً على مواصفات العصر وممارساته ومطامحه القريبة العاجلة"(خليل، ١٩٨٣، ص٩٩).

والقرآن الكريم عندما حدثنا عن هذا الإلتباع والتقليد في قوله تعالى ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوْلُو جِنَّتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢-٢٤). إنما أراد أن يدعو الإنسان إلى التوحيد وترك الشرك تكفيراً وتسفيهاً لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، وان يحقق الإنسان بناء ذاته بالقيم بدلاً من التقليد، إذ كيف يتسنى لأمة أن تقيم حضارة لها وهي تقلد غيرها؟.

لم يكن هذا ما حصده الرسول(ﷺ) خلال العهد الأول من بعثته فحسب بل استطاع الرسول(ﷺ) من هدم بعض المعتقدات الاجتماعية التي كانت تسيطر على عقلية الإنسان والتي لا تتوافق مع العقيدة كالعصبية الاجتماعية الضيقة الحزبية والقبلية ومسائل الرقيق والمرأة، وتحريم الخمر والميسر والزنا والربا، والدعوة إلى المساواة بين الغني والفقير، فضلاً عن دعوته لأمر شملت حياتهم في جميع مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فحرص الرسول(ﷺ) على خلق إنسان ملتزم تعدياً منضبط سلوكياً إنما أريد به أن يكون مهياً للمرحلة القادمة التي ستكون بلا شك أكثر تعقيداً لما فيها من متطلبات الفترة الجديدة التي لم يعهدها الإنسان المكّي من أنشطة سياسية ودعوية واجتماعية واقتصادية التي يراها د. عماد الدين أنشطة ستعيد صياغة سعي الإنسان في العالم وهي تدفعه نحو هدفه الحضاري(خليل، ٢٠٠٢، ص٤٤-٤٥).

وفي نهاية المطاف حققت دعوة الرسول(ﷺ) في مكة والتي استمرت ثلاثة عشر عاماً وهي تدور حول البناء العقائدي مفاهيم وممارسة، أول وأعظم انجاز حضاري إلا وهو التوحيد البناء في مواجهة الشرك الهدام والتعدد وهي مسألة رآها د. عماد الدين انها أعانت على تعزيز واغناء شبكة الشروط الضرورية لنشوء الحضارة الجديدة(خليل، ٢٠٠٥، ص٥٤، خليل، ٢٠٠٧، السيرة النبوية مشروعاً حضارياً) www.midad.com ، بعد أن خلقت من تلك المرحلة إنساناً قادراً على حمل أعباء الرسالة الجديدة للعالم اجمع بكل ما تحمله من إبعاد متعددة مراعية مرحلة النضج العقلي والحضاري التي بلغت البشرية نحو خطوة أخرى ألا وهي بناء الدولة.

ثانياً: الدولة

استطاع الرسول (ﷺ) أن يتجاوز الدائرة الأولى في بناء الإنسان بعد أن بذل جهوداً تكلفت بالظفر، رغم العوائق والأذى والاضطهاد والقمع الذي لحق به وبأصحابه، لينتقل صوب الدائرة أو المرحلة الثانية حيث الدولة وبناء المجتمع وفق المنهج الإسلامي ونظام الحياة الإسلامية، وبناء دولة منضبطة بقيم وتعاليم السماء، تحمي جهود الإنسان وهو يؤدي وظيفته الحضارية، وكان ذلك إحدى نقاط الارتكاز في فكر د. عماد الدين، فهو يرى انه لا بد أن يكون للإنسان دولة توفر له إمكانيات الاستمرار لاسيما الأرضية الصالحة التي تحفظ له طاقته الإنسانية وهو يسخرها بما توفر له من إمكانيات القوة والتنظيم في اعمارها وتنفيذ الفعل الحضاري فيها المنضبطة بتعاليم الوحي، بدلا من استنزاف طاقته في مواجهة قيم وأخلاقيات جاهلية لا يمكن لها بأي حال أن تمادى من رفض قيمها الوثنية وأهدافها وتقاليدها ومصالحها (خليل، ١٩٨٣، ص ١٢٧-١٢٨).

وبعد ان أدرك الرسول (ﷺ) ان مكة لا تصلح فيها الدولة راح يبحث له عن بديل ووجد في يثرب مستقره الحضاري، وكان نجاحه في تأسيس دولة له في وسط صحراء يعج فيها الشرك والجهل هو اخطر كسب حضاري حصل عليه الرسول (ﷺ)، فكانت الهجرة التي نقلت المسلمين إلى الدائرة الثانية، وقد حققت معها مكاسب عدة للإنسان فهي لم تخلصه من الأذى والاستهزاء فحسب بل انها وحدته وإعانتته على إقامة دولة بمفهومها الحضاري في بلد آمن (المصري، د.ت، ص ١٨٧).

ويقف د. عماد الدين عند حادثة الهجرة ليرى انها صاغت حدثها وضمنت تحقيق هدفها بفعل الهي تكون من خلال ثلاثة عناصر الفعل التاريخي والسببية التاريخية والفعل أو الإرادة الإلهية، أي " لقاء بين الله والإنسان والطبيعة، بما فيها الزمن"، هذا الحوار بين القيم العليا والوجود السفلي حرك حدث الهجرة كما حرك بقية الحركات في التاريخ، وهي بلا شك عناصر تحرك الإنسان الضائع الحائر المعذب المأسور، لتحقيق رغبته في التوحد والائتمان الذاتي، فتصنع تاريخه وتقرر مصيره، وهي تصب في مجرى مبادئ الدين الجديد (خليل، ١٩٨٣، ص ١٤٠-١٤٣، خليل، ١٩٨٦، ص ١٦).

وكان مما ميز الحركة التاريخية المرتبطة بالدعوة التي صاغت الهجرة للإنسان فرداً وجماعة، انها ظلت بعيدة عن أي صراع ضدي أو نقيض بشري من مستويات شتى: نفسي وفكري وعقدي ووجداني وعرفي واجتماعي وسياسي واقتصادي... الخ، ويلحظ د. عماد الدين انه في الوقت الذي يجد فيه انها "محاولة للالتئام والتوحد والاستقطاب والتجمع"، فإنه يخالف معطيات الفلاسفة والمفكرين الماركسيين الذين نادوا بما سماه "صراع النقيضين"، عندما قصروا النقائض على الجانب العقلي (كهيلغل) أو المادي الاقتصادي (كأنجلز وماركس) لان حدث الهجرة انبثق عن موقف دعوي إسلامي اشترط فيه ترابط القيم الروحية والمادية والطبيعية والغيبية ولا يمكن أن يكون هناك ثمة انفصال بين احدهم والأخر (خليل، ١٩٨٣، ص ١٤٣-١٤٤، خليل، ١٩٨٦، ص ١٧).

وبهذا نستطيع أن نعد الهجرة انقلاباً على كل المعطيات الماضية فهي ليست هجرة من ارض إلى ارض أو استبدال أهل بغيرهم، وانما هي هجرة من قيم قيدت حركة الإيمان، وغيبت دور الفعل الحضاري للإنسان اثر الصدام المستمر، إلى ارض سمحت للإنسان أن يصنع فيها تاريخه الحضاري وهو ممزوج بقيم إيمانية.

وفور دخول الرسول (ﷺ) المدينة وضع خلالها معالم أساسية للمجتمع الإسلامي في كل أبعادها الفردية والجماعية العامة والخاصة، ويجد د. عماد الدين إن الرسول (ﷺ) كان مدركاً تماماً أن المسلمين في هذه المرحلة أصبحوا أكثر نضجاً عقدياً وأكثر تهيأً نفسي وذهني لذلك وأنهم سيكونون متقبلين لأي تشريع يخالف نمط حياتهم التي عهدوها من قبل لا بل سيكونون أكثر إيماناً بأن هذا التغيير الذي جاء وحول حياتهم وجعلها تسير وفق نظام وحدود وعلاقات مرسومه، هو الحق المطلق والخير والصواب (خليل، ٢٠٠٥، ج١، ص٤٦)، وهو يحاكيها بمنهج نبوي قد تمكن من بناء إنسان مؤهل لحمل أعباء الاستخلاف في الأرض، يدفع بمشروع الإسلام وهو يؤدي وظائفه في العبادة والإعمار والإنقاذ والتعارف إلى عالم الحضارة.

وبناء الرسول (ﷺ) للمسجد جاء ليكون محورا رئيسا في حياة الأمة، ومنطلقاً أساساً لكل فعاليتها، إذ كان مكانا للعبادة يتلقى فيها المسلم منهجا حقيقيا في زيادة تربيته الروحية وتقويم سلوكه، ومركزا للتعليم والتوجيه والتفقه في الدين، ومركزا لاستقبال الوفود التي كانت تأتي للرسول (ﷺ) لإغراض مختلفة، كما جعل بمثابة مؤسسة سياسية عسكرية يتم من خلاله إدارة شؤون الدولة في الداخل والخارج ومجالس التشريع، وندوة للتدارس الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ومؤسسة تعزز القيم التي تحفظ أواصر الأخوة الإسلامية والخدمة الاجتماعية من جمع التبرعات ومعونة المحتاجين، ومكانا لإيواء الفقراء والغرباء الذين لا يجدون مأوى لهم (خليل، ٢٠٠٥، ج٢، ص١٤٩، نوري، ٢٠٠٦، ص١٨٤-١٨٩، السباعي، ٢٠٠٧، ٤٤-٤٥).

وبهذا يرى د. عماد الدين إن المسجد قدم للمسلم مهمة اتسمت بما اتسم به الإسلام من شمولية وتكامل، مهمة روحية وسياسية وعسكرية وتعليمية واجتماعية، مثل نقطة التقاء الأمة ووحدها، وانعكس أثره على بناء الأسرة والجماعة اجتماعيا وصهرها في وحدة فكرية وهم يتابعون شؤون حياتهم في حلقات العلم والبيع والشراء والقضاء والعبادة وإقامة المناسبات المختلفة (خليل، ١٩٨٣، ص١٤٩)، ومن ثم فإن هذا التكامل الذي جاء به المسجد خلص الإنسان اليثري من حالة التشرذم التي كان يعيشها تحت وطأة القبيلة وهي تحاول أن تسلط أحكامها وأعرافها الجاهلية على مقدرات حياته، وتجسد فيه مفهوم الدولة المدنية التي وجد فيها الإنسان ضالته بعد أن تخلص من ضياعه الروحي وتشنته الفكري (خليل، ١٩٨٣، ص١٤٩، خليل، ٢٠٠٨، ص١٢).

أعلن الرسول (ﷺ) بعد ذلك عن إصداره الوثيقة لتنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل المدينة والتخطيط لمهام القيادة بينه وبين المجتمع الجديد، وقد نصت على بنود متعددة جاءت في مجملها تتحدث عن الأمة الواحدة وأهل المدينة، والتنظيم القبلي والأمة، والأمة وحقوق الأفراد، والأمة والقبائل اليهودية، وسلطات الرسول (ﷺ) في قيادة الأمة وغيرها (البوطي، ٢٠٠٧، ص١٥١، الملاح، د.ت، ص٢٩٨-٣٠٨).

يجد د. عماد الدين في الوثيقة برنامجاً مرحلياً لتثبيت حدود دولة الإسلام في المدينة وفق إستراتيجية تشريعية شاملة (خليل، ٢٠٠٥، ج١، ص٤٧)، انطلقت من مسلمات الوحي وهي توافق المبادئ العامة وترسم معالم حياة المسلمين ليس على مستوى العبادة فحسب بل تنظم علاقاتهم كأمة، بين الأفراد مع بعضهم، والكتل والمكونات المختلفة فيما

بينهم، وشؤون السلم والحرب، وعلاقات الدولة مع غيرها، كما إن إقرار الوثيقة لجماعة المسلمين بأمة واحدة من دون الناس إنما هو إلغاء للحدود القبلية أو إنهاء لوجودها الرسمي في حدود الدولة الجديدة (خليل، ١٩٨٣، ص ١٥١)، وهذا المفهوم كان مغيباً في الجزيرة العربية لذلك فإن إحياء الإسلام لهذا المفهوم إنما أريد أن يكون الدين هو الرابطة العقدية والفكرية التي تحكم علاقات الأمة بدلا من الجاهليات والعصبية القديمة.

كما إن إقرار الوثيقة لمفهوم الحرية الدينية بمعناه الواسع قضى على التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات وحول التجمعات اليهودية إلى جماعات فاعلة تحس بمواطنتها في الدولة الإسلامية تساند وتدفع الخطر عنها أثناء صراعها مع العدو الوثني (خليل، ٢٠٠٥ ج، ص ١٥١-١٥٢).

وهذا يعني ان تطبيق نصوص الوثيقة سوف يتم تجاهل الأعراف القبلية التي فتت وحدة المسلمين، وجعل التزام المسلمين بالتشريع امة واحدة، وذابت معها جميع الفوارق والمميزات التي كانت تحكم فيما بينهم واضمحلّت ضمن نطاق الوحدة الشاملة، وارتبطوا فيما بينهم برابطة الإسلام (سالم، د.ت، ص ٦١)، وهذا ما اعتبره د. عماد الدين تطورا كبيرا في مفاهيم الاجتماع السياسية لان هذه المرحلة اقتضت أن يكون الاندماج في الأمة قائماً على أساس عقائدي لا على الأعراف القبلية، ثم لاعتبارات إدارية كان يقتضي الترابط مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في الدولة، ورد الاختلاف في مختلف الأمور بحكم القانون إلى الدولة لا إلى القبيلة (خليل، ١٩٨٣، ص ١٥٢).

إلا انه لم يخف امتعاضه من محاولات بعض الباحثين الغربيين مثل بروكلمان وفلهاوزن وغيرهم (النعيم، ١٩٩٧، ص ١٢٦)، الذين حاولوا أن يصوروا الوثيقة انها كل شي في البناء التشريعي للدولة الإسلامية، متناسين أو متغافلين ثقل القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا البناء، وما الوثيقة إلا جزء من هذا البناء، ويعتبر د. عماد الدين كل من يباليغ في تحميل الوثيقة الثقل الأكبر في التشريع يقع خطأ تاريخي وموضوعي لأنه "يحجب الحجم الحقيقي للتشريع القرآني الذي كان يتمخض باستمرار عن مزيد من القوانين والتشريعات، ويقود الباحث بالتالي إلى الرؤية الغربية الوضعية التي تجد في الوثيقة محاولة بشرية أولية من المحاولات التي قام بها المشرعون على مدار التاريخ لتنظيم شؤون دولهم الناشئة" (خليل، ٢٠٠٥ ج، ص ٤٧)، وأين دور الوحي الرباني الإلهي من هذه الرؤية وهو يلقي الرسول (ﷺ) التوجيهات والضوابط وينشئ على أساسه لحاجات الأمة الحلول والتنظيمات والتشريعات؟.. وأين موقع الدولة الإسلامية إذا ما جردت من بعدها الروحي عن غيرها من الحضارات المادية على مختلف صورها في الشرق والغرب وهي تعاني ما تعاني من عمى روحي وانهار مادي وقصور منهجي؟.

ويعرج د. عماد الدين على مسألة المؤاخاة ويجد انها خطوة رائدة من خطى الرسول (ﷺ) وهو ينسج خيوط مشروعه الحضاري، عندما جاءت المؤاخاة لتعالج أزمة معاشية اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة، بالتأخي والتآلف مع الأنصار ريثما تتحسن أحوالهم الاجتماعية وتستقر أوضاعهم المالية، وقد عبر القرآن الكريم عن روح التآلف التي حدثت بين المهاجرين والأنصار بقوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران ١٠٣)، وقوله ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ

حكيم (الأنفال: ٦٣)، وقد اتخذ الرسول (ﷺ) من هذه الخطوة ومساندة بعضهم البعض أساساً لبناء مجتمع يسوده العدالة الاجتماعية، ويرى د. عماد الدين ان تجربة المؤاخاة نجحت باستكمال الشروط من وجود الأرضية التي قامت عليها الأخوة الإسلامية، والقيادة التي خططت ونفذت، ومجتمع عادل سليم قائم على أساس تحقيق مبدأ العدالة بين أفرادهم تجمعهم عقيدة التقوا عليها وامنوا بها (خليل، ١٩٨٣، ص ١٥٢-١٥٦).

فنجح الرسول (ﷺ) في وصل الأمة بعضها مع بعض الأحر بالأخاء، ذاب معها (الأنا) التي طالما كانت تؤجج العصبية الجاهلية، وأصبح الفرد الذي كان يتحرك في مجتمع القبيلة بروح ومصالح قبيلته، يتحرك بروح الجماعة ومصالحها وآمالها وهو يرى فيها كيانه وامتداده.

وبعد ان استكملت الدولة مقومات بنائها، واستكمل المسلمون نموهم العقدي وزادت أعدادهم، وأصبحت العقيدة هي من تحكم العلاقات بين القبائل العربية لا تقليد النسب والقرى، واستمرار تصعيد قريش لعدائها واضطهادها للمسلمين، ونزول الآيات القرآنية التي تؤذن ببدء القتال المسلح، وتصاعد وتيرة المعارك والغزوات بين المسلمين والقوى الوثنية "حتم على الرسول (ﷺ) ان ينمي القدرات وان يدفع أتباعه إلى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية في مواجهة الأعداء الذين يحيطون بالدولة الجديدة إحاطة السور بالمعصم" (خليل، ١٩٨٣، ص ١٥٩-١٦٠).

ويرى د. عماد الدين ان خطورة المرحلة (أي مرحلة انتقال الدعوة من طابعها السلمي إلى القتالي) جعلت الرسول (ﷺ) يقدم على بناء مؤسسة عسكرية تحل محل المؤسسة القبلية التقليدية وتكون موازية للمؤسسة السياسية التي ثبت أركانها في دولته الجديدة، مؤسسة تكون قادرة على تكوين مقاتل مسلم يمتلك المهارات العسكرية اللازمة لمواجهة تحديات تلك المرحلة، رافعاً شعار ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، معتمداً في تكوينه على عاملين متوازنين: التوجيه المعنوي، والتدريب العملي.

أما العامل الأول فهو سعي الرسول (ﷺ) إلى رفع معنويات المقاتلين بمنحهم الأمل اليقيني بالنصر أو الخنة، وظل هذا الأمل المحرك الأساس الذي يحرك ويفجر طاقات المقاتل في ساحات القتال، واهتم العامل الثاني في كيفية إعداد قوة المسلمين وتدريبهم على الفنون القتالية المختلفة برأً وبحراً، والاعتماد على طاقات الأمة القادرة على البذل والعطاء شهاباً وصبياناً وشيوخاً وربما النساء أيضاً (خليل، ١٩٨٣، ص ١٦٠-١٦١).

يلحظ د. عماد الدين في الإجراءات السابقة أنها رسمت طريق الدولة الإسلامية بعد ان وضع القرآن الكريم وسنة رسوله (ﷺ) قواعدها، وحولت السيرة معطيات الشريعة التي أخذت تنمو وتتسع يوماً بعد يوم إلى ممارسة منظورة، وجعلتها تنفذ إلى قلب الواقع، ومكنتها من بناء الإنسان المتحضر والدولة العقدية، وهذه التشريعات لم تقم بطرق مجردة وأساليب بعيدة عن واقع الحياة البشرية آنذاك، بل انها قامت بالأسلوب نفسه الذي قامت به الآيات المكية وهي تنبي الإنسان بالعقيدة، وترتبط وتحاكي واقعه الحركي بأحاسيسه ووجدانه وكرامته البشرية، ووجد د. عماد الدين أن معطيات هذا الأسلوب جاءت " اشد التصاقاً بحركة المسلمين ونمو دولتهم، وأكثر التحاماً بتجربتهم المحسوسة وواقعهم المعاش، وأعمق

فهما وإدراكاً لمتطلباتها وأبعادها القانونية والسلوكية، نظراً لمواكبتها لمشاكلهم وتجاربهم اليومية ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم" (خليل، ١٩٨٣، ص١٦٣).

وبذلك تمكن الدين بتشريعاته الذي أصبح المسلمون على استعداد نفسي وذهني كاملين لتقبله من تنظيم الحياة والتحرر من العوائق والضغط وتغيير العادات والتقاليد والقيم والمثل، "وتدمير البنى القبلية المتقوقعة للحياة العربية، واحل بدلاً منها وحدة اجتماعية اندمجت في إطارها كافة التشرذمات القبلية والعشائرية، بعض النظر عن مكانتها في السلم الاجتماعي صعوداً أو هبوطاً" (خليل، ٢٠١٣، ص١٥٢).

ويخلص د. عماد الدين بذلك إلى القول بأن التكامل التشريعي ثم التكامل العقدي هو ما قاد الإنسان في هذه المرحلة إلى الإحسان في الأداء والإبداع في التنفيذ ثم إلى التفوق الحضاري، عندما احتزل الإنسان الزمن في بناء علمه الجديد، وتحول من الجاهلية والخرافة إلى التحضر والعقل، ومن الظلمات إلى النور (خليل، ٢٠١٣، ص١١٦، خليل، ٢٠٠٥، ج٢، ص٤٧).

وتلك هي المعادلة المتوازنة التي قدر الإسلام من ترسيخها ان جعل تقبل الإنسان للعقيدة منسجماً مع تقبله لمفهوم الدولة وما ينبثق عنها من مؤسسات مغايرة للمؤسسة القبلية في جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وقادت وحدة العقيدة الأفراد إلى الاندماج في جماعة المسلمين وخلق معها التضامن الإسلامي والمواولة وصدق الإلتباع، وتولد معها شعور الانتماء إلى كيان، والوعي بامتلاك حضارة تميزهم عن غيرهم، وهذا كله بلا ريب عزز من ظهور مفهوم الأمة، وأعطى رغبة حقيقة في تنفيذ التشريعات والتعامل بواقعية مع معطيات الزمن والمكان في تحويلها إلى وقائع معاشة وهي تختزل الزمن في دفع الإنسان إلى البناء والإبداع وممارسة دوره الحضاري.

وثمة متطلبات أخرى فضلاً عما سبق قادت الرسول (ﷺ) إلى تحقيق مشروعه الحضاري وبناء الدولة إلا وهو اهتمامه بالجانب المعرفي الذي عدّه مقياساً لدرجات التقدم والتخلف عند الأفراد أو الشعوب، وأساساً للتنمية والتحضر والنهوض الحضاري عند الأمم، لذلك اهتم به الرسول (ﷺ) وبين فضله وآدابه وحدوده، وحرص على محاربة الجهل والأمية التي كانت منتشرة بين العرب، وما واقعة بدر إلا خير مثال على حرص الرسول على التعلم وزيادة معرفة المسلمين عندما جعل فداء من لا يملك الأموال من الأسرى تعليم عشرة غلمان من غلمان المدينة الكتابة والقراءة (القرضاوي، ٢٠٠٤، ص٤٦-٤٩)، فسيرة الرسول (ﷺ) هي بذاتها سيرة المعرفة والتعليم الإسلامي عندما بلغ مفردات الإسلام جميعها لمن كان حوله من المسلمين بشكل منفتح ومستمر.

كما إن تمكين الإسلام للرسول (ﷺ) من استبدال القيم الجاهلية بقيم ايجابية إما بالتحريم أو إقرار بعضها والتشجيع عليها أو الإعلاء مع مراعاة التدرج في إحداث عملية الاستبدال حتى تتمكن هذه النفوس من تقبل تلك القيم الإسلامية الجديدة (قميحة، ١٩٨٤، ص٣٠-٣١)، قد أكسب الإنسان تفاعلاً غيبياً حقق به عملية البناء الحضاري بما زود العقل من كم هائل من القيم والمعايير الأخلاقية والثقافية والسلوكية والروحية والعمرانية، إلا أن هذه القيم تطلبت من

الإنسان "التعامل" معها، وبدون "التعامل" لا يتحقق الإنجاز الحضاري والعطاء الإبداعي المتجدد الذي يتجرد عن حدود الزمان والمكان في حل المشكلات الإنسانية(حسنة، ١٩٩١، ص٥-٦).

ويتهيئ د. عماد الدين بالتأكيد على أهم ما حققته جملة هذه الدائرة من إبعاد حضارية بعد أن استكملت دولة الإسلام مستلزمات بنائها القانوني: إنها "الأمة، والسيادة الخارجية والداخلية، ثم الإقليم"، الأمة التي انصهر فيها مبدأ عالمية الدعوة فأصبحت قائمة على أساس الفكرة والعقيدة التي "لا يمكن حصرها أو ضبطها لأنها لا تحدها لغة أو جنس أو وطن"، والسيادة (داخلية وخارجية) القائمة على الاختيار الحر في اعتناق الفكر لا القسر والإرغام، الاختيار الذي يسهم في تقديس الحرية الإنسانية وجعلها أساس الدولة الفكري والقانوني، ثم الإقليم الذي "اختارته الظروف لها وكان اختياراً موفقاً" (خليل، ١٩٨٣، ص١٦٥).

ويغدو "التوحيد في مواجهة الشرك والتعدد، والوحدة في مواجهة التجزؤ، والدولة في مواجهة القبيلة، والتشريع في مواجهة العرف، والمؤسسة في مواجهة التقاليد، والأمة في مواجهة العشيرة، والإصلاح والإعمار في مواجهة التخريب والإفساد، والمنهج في مواجهة الفوضى والخرافة والظن، والمعرفة في مواجهة الجهل والأمية"، والالتزام بمنظومة القيم الخلقية والسلوكية المتجددة في العقيدة في مواجهة القيم الجاهلية الباعثة على الفوضى والتسيب (خليل، ٢٠٠٨، ص١٢-١٣)، ملامح حضارية وجد د. عماد الدين اثر إنجازها في ظل الدولة الجديدة، مكنت القادم الجديد من أداء دورها الحضاري المرسوم، وزرعت في نفسه الإرادة الحرة في اختيار أسلوبه في العمل والإبداع.

ثالثاً: الحضارة

إن الحضارة التي نشأت مع دعوة الرسول (ﷺ) في مكة ثم هجرته إلى المدينة المنورة وتأسيسه للدولة الإسلامية، قامت على أساس بناء وصياغة الإنسان صياغة إسلامية تجمع بين أبعادها الجانب الروحي والمادي ليتمكن الإنسان من تحقيق أهدافه ومزاولة مهمته في الاستخلاف، فالتوحيد، والوحدة، والدولة، والتشريع، والمؤسسة، والأمة، والإصلاح، والمنهج، والمعرفة، والقيم الإيجابية، أسس وفرت البيئة المناسبة لتحريك وتحقيق الفعل الحضاري للمجتمعات الإنسانية، وترجمة قيمها الحضارية في الحياة وقواعدها الحاكمة، وتفعيل هويتها الجامعة، الأمر الذي جعل المشروع الحضاري الذي حققه الرسول (ﷺ) خاصية تميزه عن غيره عندما يقارن بنماذج حضارية أخرى.

ولعل هناك من ينتقد تأخر بعض حلقات الفعل الحضاري بمفهومه التنفيذي إلى عصور أخرى بعد عصر الرسول (ﷺ)، وهذا مراه د. عماد الدين إنما هو نوع من التعليق الزمني لبعض المفردات من اجل تقاسم الأولويات أو ضرورات يتيح لها فرصة تحقيق "ملاحمها المستقلة وخصوصياتها الفكرية وتعاملها المتفرد مع الوجود والمصير" (خليل، ٢٠٠٥، ص٥٦-٥٧).

وبهذا المعنى يرى د. عماد الدين ان من خصائص الحضارة الإسلامية إنها حضارة إيمانية عقدية ملتزمة قامت على التوحيد وجمعت بين الوحي والوجود، منحت المشروع الحضاري شخصيته المتفردة والمتماسكة والمنسجمة مع نوااميس

الكون والطبيعة، وحمته من التفكك والتبعثر والانحيار، وحققت بالبديل الحضاري للإنسان وظيفته التعبدية والعمرائية، كما منحت للحضارة الإسلامية هويتها الخصوصية (خليل، ٢٠٠٥، ص ٦٧-٦٩، خليل، ٢٠٠٨، ص ١٤، خليل، ٢٠٠٥، ب، ص ١١٦)، التي هي "مصدر التجمع والتصور، ومنبع الفكر ومنهج الحياة" (الواعي، ١٩٨٨، ص ٢١١). إن اطلاق وانفتاح الرسول (ﷺ) على الحضارات الأخرى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم أو المعاصرة له في مناطق وسط الجزيرة العربية وأطرافها، أو عن طريق الفتوحات الإسلامية التي جاءت بعده، يلحظ فيها د. عماد الدين انما منحت الحضارة الإسلامية تقابلاً متوازناً بين الأصالة والانفتاح، الأصالة في تحصين نفسها من الذوبان في حضارات أخرى تدمر ملامحها الحضارية الإسلامية، وفي الوقت نفسه الاستعداد التام للانفتاح على الحضارات الأخرى وهضم معارفها وخبراتها وتحويلها إلى مادة تمنح الحضارة الإسلامية القدرة على النمو والامتداد، دون أن يكون ذلك سبيلاً للتأثير على العقائد والأخلاق والعبادات (خليل، ٢٠٠٥، ص ٧٠-٧١، خليل، ٢٠٠٢، ص ٦٧).

وفي ظل هذا المناخ الحضاري الفريد الذي صاغه رسول الله (ﷺ) برزت خاصية التوازن بين الثنائيات المتقابلة، الوحي والوجود، والإيمان والعقل، والظاهر والباطن، والحضور والغياب، والمادة والروح، والقدر والاختيار، والفردية والجماعية، والعدل والحرية، والوحدة والتنوع... الخ، توازن يحدد موقع الإنسان في العالم والكون فيجعله في موضع وسطي، ويؤكد د. عماد الدين ان الوسطية هنا يعني بما وظيفة الحضارة الإسلامية ودورها عقدياً وعملاً في الشهادة على الأمم والحضارات المختلفة لا ينجح فيها صوب اليمن أو اليسار، وهذا ما يتضح في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ويقف د. عماد الدين عند إحدى الثنائيات المتقابلة (الوحدة والتنوع) ليثبت ان كلاً منهما لا يتناقى أو يتقاطع مع الآخر بل إنهما يتداخلان ويتوازنان ويؤثر أحدهما في الآخر، حضارة الوحدة التي تنبثق عن قواسم مشتركة لا تلغي حضارة التنوع والتغاير في البيئات والأعراف والممارسات الثقافية والأنشطة المعرفية، فارتباط التغاير بالثوابت التوحيدية منح المجتمعات الإنسانية قدرة على الفعل والصرورة وتحريك المجتمعات الإنسانية نحو تخطي مواقع الركود والسكون والفساد إلى مواطن الإبداع والأصالة (خليل، ٢٠٠٢، ب، ص ٩-١٢).

وثمة خاصية حضارية أخرى أشار إليها وهي الشمولية التي أرسى أسسها الرسول (ﷺ) وأكملها بناء الحضارة من بعده في متابعة كل مفردات الحياة والتوغل في نسيجها " فما ثمة أمر مما يهم العقل أو الروح أو الجسد أو الحس أو الوجدان إلا قالوا فيه كلمتهم وقدموا حسب قدراتهم، وإمكاناتهم، يومها التعبير الثقافي المناسب" (خليل، ٢٠٠٥، ص ٧٤). ومع الشمولية هنالك الواقعية، إذ يلحظ د. عماد الدين إن ميزة الحضارة الإسلامية لم تأت من ادعائها المثالية أو التغافل عن طبيعة الإنسان الحقيقية، بل انما جاءت من عدم قدرتها على الانفصال عن أرضية العالم وتجاوز الثنائية، ومتابعة حاجات الإنسان وإعانتته على السعي في الأرض (خليل، ٢٠٠٥، ص ٧٦).

ولم تكن الحضارة الإسلامية مدعاة إلى التخريب والإفساد، ولكنها الحضارة الإيجابية التي قدر بواسطتها إعمار الأرض وإحيائها، ويلحظ د. عماد الدين إن الحضارة الإسلامية تختلف عن الحضارة الغربية التي أخذت "بمخناقها رؤية

سوداوية متشائمة للوجود والمصير وللمسعى البشري في هذا العالم"، ويستدل بحديث رسول الله (ﷺ) (إذا قامت الساعة ويبد أحدكم فسيلة، فاستطاع إلا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك اجر)، الذي فيه يعلم الرسول (ﷺ) المسلمين ضرورة بناء الحياة وتحقيق غاية الإصلاح والإعمار ورعاية الكون والكائنات خدمة لهم ولأبنائهم وأحفادهم فيما بعد (خليل، ٢٠٠٥، ص ٧٥).

وثمة خاصية أخرى وأخيرة يقف عندها، وهي الطابع الإنساني العالمي الذي يرفض حدود الإقليمية والجغرافية والعرقية والطبيعية والمذهبية، إلى حضارة خاطبت الإنسان من حيث كونه إنساناً متجاوزة الأنانية والاستعلاء والانغلاق على الذات، إلى مشاركة الفئات كافة والجماعات المنضوية في المجتمعات الإسلامية بغض النظر عن ديانتهم وأعرافهم وانتماءاتهم (خليل، ٢٠٠٥، ص ٧٦-٧٧).

ويرى ان الانفتاح الإنساني الذي شهده المجتمع الإسلامي إزاء العناصر غير الإسلامية جعلته مجتمعاً عالمياً ضم أعداداً كبيرة من الأديان والجماعات والمذاهب والفرق والاتجاهات، حولهم التعامل الإنساني معهم إلى مواطنين فاعلين في الدولة، ومن مجتمع منغلق على نفسه إلى مجتمع عالمي (خليل، ٢٠٠٢، ص ٢٥-٢٦).

إذن فالحضارة التي قدمتها سيرة الرسول (ﷺ) هي حضارة ميزتها هويتها الإسلامية لما فيها من نظام القيم الذي حدد على أساسه قواعد السلوك والعلاقات الاجتماعية والسياسية وقواعد النهضة الحضارية والتقدم، ومكن الأمة من تحقيق الشمولية والتوازن الإنساني بين المتطلبات المادية والروحية مما خلق منظومة من التكامل بين الدين والدنيا وبين الروح والجسد، فأمد الحضارة الإسلامية قوة ضاهت بها الحضارات الأخرى.

الخاتمة

أفضى البحث إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

- ١- التأسيسات الحضارية في القرآن الكريم جاءت وفقاً لتكامل الرؤية الإسلامية بالتقاء الوحي والعقل والكون، وهو ما مكن الإنسان من النظر والتدبر والعمل في عالم الشهادة ففتح أمامه ناصية الإبداع وفتح أمامه أبواب النظر والتنقيب في سنن الحياة ففتح للإنسانية آفاقاً جديدة في مجال الحضارة.
- ٢- الرؤية القرآنية للواقعة التاريخية منحت للبشرية معرفة بتجارب الأمم الماضية نتيجة ثبات السنن وديمومتها، وتوافق الزمن، وشمولية القيم والقوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية، والإفادة منها وفق رؤية إيمانية تكاملية في صنع الحاضر ورسم حدود المستقبل.
- ٣- لم تكن السنة النبوية هي ذكر الرسول (ﷺ) أحاديثاً وسنناً يخاطب بها عقول الناس بيانا وعلماً وهدياً وإنما هي تنزيل القرآن إلى أرض الواقع وتحويلها إلى ثقافة حضارية يجد فيها العقل المسلم أثرها بتفاعله مع عملية البناء الحضاري التي هي في الأساس متلازمة مع السنة النبوية المطهرة.

٤- ترجمة منهج الرسول (ﷺ) وسيرته في بناء النموذج الأول للحضارة العالمية ووضع برامجها وترسيم حدودها ووضع قواعدها دارت حول البناء العقائدي للإنسان مفاهيم وممارسات، وإعادة ضبط حركته في البناء الحضاري من خلال بناء دولة وفق المنهج الإسلامي ونظام الحياة الإسلامية، تضع القرآن الكريم وسنة رسوله قواعد لها، وتحول معطيات الشريعة إلى ممارسة منظورة، فخلق لدى الإنسان تكاملاً في الأداء والتنفيذ ثم إلى التفوق الحضاري التي حظيت بنورها مساحة واسعة من العالم، فاستكمال مستلزمات الدولة القانوني قدم للمسلم حاضنة حضارية من التوحيد البنّاء في مواجهة الشرك الهدّام، وحضارة الأمة والدولة والتشريع الرباني في مواجهة مجتمع الفرد أو القبيلة أو القانون الوضعي، وحضارة الإصلاح والبناء والإعمار في مواجهة التخريب والهدم والإفساد، وحضارة المنهج والمعرفة في مواجهة الفوضى والجهل.

٥- الحضارة التي قدمتها سيرة الرسول (ﷺ) هي حضارة إيمانية عقديّة ملتزمة قامت على التوحيد وجمعت بين الوحي والوجود، وتقابل متوازن في الأصالة والانفتاح، وتوازن بين الثنائيات المتقابلة، وشمولية في متابعة كل مفردات الحياة والتوغل في نسيجها، وواقعية الارتباط بأرضية العالم ومتابعة حاجات الإنسان وإعانتته على السعي في الأرض، والابحائية في إعمار الأرض وإحيائها، والعالمية التي تجاوزت حدود الإقليمية والجغرافية والعرقية والطبيعية والمذهبية.

الهوامش

(١) ولد د. عماد الدين خليل في مدينة الموصل عام ١٩٣٩، وتلقى تعليمه الأوّلي فيها، حصل على شهادة البكالوريوس في الآداب بدرجة الشرف في قسم التاريخ بكلية التربية في جامعة بغداد عام ١٩٦٢، ثم الماجستير في التاريخ الإسلامي في معهد الدراسات العليا بكلية الآداب في جامعة بغداد عام ١٩٦٥، ثم الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأوّلي في كلية الآداب جامعة عين شمس في القاهرة عام ١٩٦٨، عمل معيداً فمدرساً فأستاذاً مساعداً في كلية الآداب في جامعة الموصل للأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧، تولى مهام إدارية مختلفة، له مساهمات ومشاركات علمية مختلفة منها مشاركته في مؤتمرات وندوات علمية وثقافية متعددة في أقطار عربية وإسلامية وعالمية، كما عمل محاضراً لمواد التاريخ وفلسفته ومناهج البحث والفكر الإسلامي والأدب الإسلامي في عدد من الجامعات والمؤسسات العربية والإسلامية والعالمية بلغ عددها (١٧) جامعة ومؤسسة، نشر عشرات البحوث في العديد من المجالات العلمية والأكاديمية والمحكمة، ونشر مئات المقالات والبحوث الثقافية والأعمال الأدبية (دراسة وتنظيراً ونقداً وإبداعاً) يقرب من (٧٠) مجلة وصحيفة عربية وإسلامية، وقد اختير عضواً في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وله مؤلفات عدة بلغت ما يقرب من (٦٩) كتاباً، أشرف على العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه في التأريخ الإسلامي وكُتِبَ عن أعماله دراسات عدة من رسائل الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه في الجامعات العراقية والعربية، كما ترجمت بعض مؤلفاته إلى عدد من اللغات وبخاصة الانكليزية والفرنسية والتركية والفارسية والكردية والاندونيسية، وله جهود دعوية في المساجد والمعاهد والجامعات والمؤسسات الثقافية والعلمية، للمزيد ينظر: السيرة العلمية التي بحوزة أ.د. عماد الدين خليل؛ مقابلة مع أ.د. عماد الدين خليل في ١٤ كانون الثاني ٢٠١٣ في الموصل.

المصادر والمراجع

أولا. الكتب العربية

- (١) أبو سليمان، عبد الحميد احمد، (١٩٩٤)، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط ٣.
- (٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ج ٤، ج ٧، ج ٨، ط ١.
- (٣) بن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد، (٢٠٠١)، مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١٢، ج ١٤، ج ١٥، ط ١.
- (٤) بن عاشور، محمد الفاضل، (١٩٩٢)، روح الحضارة الإسلامية، ضبط وتقديم عمر عبيد حسنه، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط ٢.
- (٥) البوطي، محمد سعيد رمضان، (٢٠٠٧)، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ط ٢٧.
- (٦) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، (١٩٩٨)، الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج ٣.
- (٧) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، (د.ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤.
- (٨) حسنة، عمر عبيد، (١٩٩١)، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا.
- (٩) خليل، عماد الدين، (١٩٨٣)، دراسة في السيرة، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ط ٧.
- (١٠) خليل، عماد الدين، (١٩٨٥)، مؤشرات إسلامية في زمن السرعة، بيروت، ط ١.
- (١١) خليل، عماد الدين، (١٩٨٦)، التفسير الإسلامي للتاريخ، منشورات مكتبة تموز، الموصل، ط ٤.
- (١٢) خليل، عماد الدين، (١٩٨٧)، حوار في المعمار الكوني وقضايا إسلامية معاصرة، دار الثقافة، الدوحة، ط ١.
- (١٣) خليل، عماد الدين، (١٩٩١)، مدخل إلى إسلامية المعرفة، مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط ١.
- (١٤) خليل، عماد الدين، (٢٠٠٢)، متابعات إسلامية، في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة، دار الحكمة، لندن، ط ١.
- (١٥) خليل، عماد الدين، (٢٠٠٢ب)، الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ط ١.
- (١٦) خليل، عماد الدين، وحسن الرزوي، (٢٠٠٤)، دليل التأريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط ١.
- (١٧) خليل، عماد الدين، (٢٠٠٥أ)، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١.
- (١٨) خليل، عماد الدين، (٢٠٠٥ب)، أصول تشكيل العقل المسلم، دار ابن كثير، دمشق، ط ١.

- (١٩) خليل، عماد الدين، (٢٠٠٥ ج)، مدخل إلى التاريخ الإسلامي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١.
- (٢٠) خليل، عماد الدين، (٢٠٠٨)، كتابات معاصرة في السيرة النبوية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط ١.
- (٢١) خليل، عماد الدين، (٢٠١٠)، قالوا عن الإسلام، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١.
- (٢٢) خليل، عماد الدين، (٢٠١٣)، غربيون يتحدثون عن الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١.
- (٢٣) دسوقي، فاروق احمد، (د.ت)، استخلاف الإنسان في الأرض، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.
- (٢٤) سالم، عبد العزيز، (د.ت)، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.
- (٢٥) السباعي، مصطفى، (٢٠٠٧)، السيرة النبوية دروس وعبر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ٧.
- (٢٦) الطبري، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، (٢٠٠٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق احمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ج ٤، ط ٨.
- (٢٧) القرضاوي، يوسف، (٢٠٠٤)، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١.
- (٢٨) القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، (د.ت)، المسند الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١.
- (٢٩) قميحة، جابر، (١٩٨٤)، المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، ط ١.
- (٣٠) المصري، محمود، (جمع وترتيب)، (د.ت)، سيرة الرسول (ﷺ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- (٣١) الملاح، هاشم يحيى، (د.ت)، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.
- (٣٢) النعيم، عبد الله محمد الأمين، (١٩٩٧)، الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لآراء (وات، بروكلمان، فلهاوزن)، مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط ١.
- (٣٣) نوري، موفق سالم، (٢٠٠٦)، فقه السيرة النبوية، قراءة سياسية دعوية حركية، دار ابن كثير، دمشق، ط ١.
- (٣٤) الهاشمي، عابد توفيق، (١٩٨٢)، مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط ١.
- (٣٥) الواعي، توفيق يوسف، (١٩٨٨)، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١.

ثانيا. المقالات

- السيرة العلمية التي بحوزة أ.د عماد الدين خليل.

ثالثا. المقابلات الشخصية

- مقابلة مع أ.د. عماد الدين خليل في ١٤ كانون الثاني ٢٠١٣ في الموصل

مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة ، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

رابعاً. شبكة الاتصالات العالمية(الانترنت)

١- خليل، عماد الدين، (٢٠٠٧)، "السيرة النبوية مشروعاً حضارياً"، www.midad.com.

خليل، عماد الدين،(٢٠١٦)، "البعد الحضاري للسيرة النبوية"، مجلة المجتمع، www.mugtama.com.